الشيخ الخليل القاسمي ومواقفه من الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1945 – 1962

الدكتور : محمود بوكسيبت
جامعة محمد بوضياف المسيلة

المقدمة:

على الرغم من صغر سنه وعدم مشيخته للزاوية القاسمية بين 1945 – 1962 فقد ترك الشيخ الخليل أثاره وسجل اسمه في تاريخ الزاوية المرابطية، ويعود ذلك إلى عدة عوامل تداخلت في تكوين شخصيته، وبفضل هذه العوامل، استطاع أن يلعب دورا مهما في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وهو ما نحاول تجليته من خلال التعريف بهذه الشخصية وبيان دورها الوطني .

I. التعريف بالشيخ الخليل بن مصطفى القاسمي:

ولد الشيخ الخليل بن مصطفى القاسمي سنة 1930 م بالهامل، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ثم تلقي علوم الفقه والتفسير والمنطق والحديث واللغة على يد مشايخ الزاوية الدائمين أو الزائرين، ومنهم والده الشيخ مصطفى القاسمي وعبد الحفيظ القاسمي والشيخ الطاهر العبيدي[1] والشيخ عبد الحي الكتاني[2]، ولم يبلغ العشرين من عمره حتى تصدر للتعليم بزاوية أجداده مجازا من كل مشائخه[3].

وفي سنة 1970 بعد أن توفي والده مصطفى شيخ الزاوية آنذاك انتخبه شرفة الهامل وأشرافهم من أبناء الأسرة القاسمية وبإجماع عليه ليتولى شؤون الزاوية إلا أنه ونظرا لمسؤولياته تجاه المعهد تنازل عن

(1)- عامر العلواني: الطريقة الرحمانية الحقة مخطوط غير مرقم بمنزل صاحبه بالهامل، ص 103.
(2)- و انظر كذلك الحاج خليل القاسمي: من وحي الذاكرة، مذكرات حول الثورة / نسجه مرقونه لدى ابنه محمد فؤاد القاسمي ص 66 فما بعد.
(3)- نفسه ص 66.

المشيخة[1] إلى عمه الشيخ الحسن القاسمي.وبعد إلغاء التعليم الأصلي وغلق المعهد القاسمي اعتزل الشيخ خليل القاسمي ومكث في بيته بالمقطع إلى غاية سنة 1980 ، حيث تم عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى .وفي سنة 1985 دعي إلى باريس ليقوم بنشر الدعوة الإسلامية في أوربا، وفي سنة 1987 وبعد وفاة عمه الشيخ الحسن فقد دعي لتولية مشيخة الزاوية القاسمية، وانتخب سنة 1989 رئيسا لرابطة الزوايا العلمية.[2] وبقي على رأس مشيخة الزاوية القاسمية حتى وفاته سنة 1994. وقد عرف بعلمه ونشاطه ودوره السياسي داخل الزاوية أو خارجها، قبل توليه مشيختها أو بعدها.

II. عوامل تكون شخصية الشيخ خليل القاسمي:

ولد الشيخ خليل سنة 1930 بالهامل كما أشرنا سابقا ورغم عدم توليته للمشيخة بين 1945 – 1962 إلا أنه كان حاضرا بوجدانه وأعماله، مرافقا لوالده، متفاعلا من أحداث وطنه، مدركا لدوره كأحد أبناء الزوايا الرحمانية الكبرى، وقد تفاعلت عدة عوامل في بناء شخصيته، وجعلت منه علما من أعلام الجزائر، ومن العوامل التي ساهمت في نشأته:

1- عوامل عقيدية ووراثية
2- تربيته في أحضان الزاوية
3- عوامل شخصية
4- زيارة العلماء والسياسيين إلى الزاوية
5- ارتباط قادة الثورة بالزاوية.

1- عوامل عقيدية ووراثية:

تربى الشيخ الخليل بالزاوية التي نشأ بها، وأخذ التربية الروحية على مشايخ بارزين، فصقت نفسه وطاقت للجهاد، كما أخذ العقيدة الاشعرية عن جهابذة العلم، وعرف أصول الطريقة الرحمانية المتمثلة في التصوف والعلم والجهاد[3] وأدرك الوضع المأساوي الذي يعيشه الشعب الجزائري، ورأى أن الحل يكمن في تخليص أمته من الاستعمار والعودة بالطريقة والزاوية إلى المسار الذي أسست من أجله، ومن ناحية أخرى

(1)- عبد القادر زبادية: أشار إلى تلك المبادئ ينظر: مجلة الأصالة، ص 60، 61 .

(2)- الشيخ مصطفى بن محمد بن أبي القاسم الهاملي، ولد بالهامل سنة 1315 هـ /1897م ،حفظ القرآن وأخذ العلم بالزاوية، تولى مشيخة الزاوية القاسمية سنة 1927م بعد وفاة عمه سيدي أحمد توفي سنة 1970م، وخلفه الشيخ الحسن، انظر: الجيلاني بن عبد الكريم اليحياوي: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية، ط1، مطبعة بن خلدون، تلمسان، 1953م، ص32.

(3)- فؤاد القاسمي: نجل الشيخ خليل: لقاء خاص في مكتبة في بوسعادة يوم 20 مارس 2012.

فالشيخ سليل عائلة شريفة، فوالده الشيخ مصطفى[1] الذي تولى أمر الزاوية بين 1928 و 1970 ، وقد عرف بدوره في الزاوية العلمي والاجتماعي وبحرصه على خدمة مصالح الناس في سائر الأوقات، ورغم أن الظرف قد عرف ببلوغ السيطرة الفرنسية ذروتها سنة 1930 فقد عرف هذا الرجل كيف يوفق بين دور الزاوية الذي أنشأت من أجله وبين مواقفه الظاهرية مع السلطة الفرنسية[2] ومن جهة الأم، فخال الشيخ خليل هو السيد زين العابدين بن عبد الله الأحرش، الذي كان عضوا بارزا في الحركة الوطنية وأحد نشطاء حركة الانتصار للحركات الديمقراطية[3]، والمعتقل لأكثر من مرة في السجون الفرنسية بمعية أحمد بن بلة[4] ، وعليه فمن خلال العوامل الوراثية نجد أن في شخص مترجمنا اجتمع نسب الشرف وحنكة الأب و تفانيه ودبلوماسيته وورث من أخواله من جهة الأم الوطنية الصحيحة، هذا فضلا عن العقيدة الصحيحة والطموح إلى الجهاد اللتان كانتا حجر الأساس في تكوينه الشخصي.

2- تربيته في أحضان زاوية أجداده:

ولد الشيخ خليل في الزاوية القاسمية وبها نشأ وترعرع، وكانت الزاوية آنذاك تسير وفق نظام داخلي وتربوي وبيداغوجي محكم، وقد جلبت أساتذة دائمين أو فصليين أو زائرين، عملوا جميعا على تنفيذ برنامج يربي أجيالا مرتبطة بالله، تواقة للخير، محبة للوطن [5]كما كانت الزاوية القاسمية آنذاك قبلة للعلماء الذين تولوا التدريس، هذا فضلا عن وجود مكتبة زاخرة[6] ونهل منها الشيخ مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وصقلت منه شخصية ذينية معتزة بحضارتها ووطنها.

3- نبوغه الشخصي وأسفاره:

(1)- حركة الانتصار للحركات الديمقراطية: هي امتداد لحزب الشعب الجزائري ظهرت سنة 1946 واستعملها حزب الشعب عطاء لعقد الاجتماعات دخلت انتخابات سنة 1947 وكان لانتصارها وقعا سياسيا كبيرا في نفوس المعمرين، انظر: حمود شايد: دون حقد ولا تعصب: صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة (مذكرات)، مطبعة روطو، الجزائر 2010 ص 245.

(2)- أحمد بن بلة: ولد في 15 سبتمبر 1916، انخرط في حزب الشعب وترأس التنظيم السري للحرب سنة 1949، كان أحد المختطفين في القرصنة الجوية الفرنسية سنة 22 أكتوبر 1956، حيث زج به في السجن حتى الاستقلال، انظر: أحمد بن بلة: أسرار ثورة التحرير، دار ابن حزم، لبنان 2007، ص 5.

(3)- محمود بوكسيية: المنظومة التربوية ووسائلها التعليمية بزوايا الطريقة الرحمانية، زاوية الهامل المؤدحا 1863 – 1914 م ر م 2007 ص 70.

(4)- تولى أمانة المكتبة مدة تزيد عن نصف قرن (من 1944 إلى 1994). أنظر: عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862 – 1962)، دار الخليل، ص 205.

(5)- عامر العلواني: المصدر السابق.

(6)- نعيم النعيمي: بن حمدان بن علي: عالم فاضل ولد بأولاد جلال سنة 1909، تعلم بزاوية أولاد جلال ثم التحق بجامع الزيتونة 1924 وعاد بعد سنة، انظم إلى جمعية العلماء سنة 1931 وأصبح مدرسا بمعهد ابن باديس سنة 1947، انظم إلى الثورة وخرج سنة 1957. أنظر الطرق الصوفية والروايا في الجزائر ص 862 – 863.

عرف الشيخ الخليل بذكائه الحاد ونبوغه المبكر، وقد ظهر ذلك في حفظه المبكر لكتاب الله، وتلقفه لكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك بالزاوية، الأمر الذي جعل أساتذته يحيزونه وهو في سن العشرين[1]، وإضافة إلى ذلك فقد عرف منذ صغره بأسفاره رفقة والدة أو وحده، وهو ما جعله يحتك برجال العلم والسياسة.

لقد احتك من خلال أسفارة بذلك الجيل الجديد لأبناء الزوايا الرحمانية أمثال الشيخ نعيم ألنعيمي[2] والحاج عمر بن الحملاوي[3] الذين نهلوا من جامع الزيتونة [4]، وعرفوا قواعد التغيير فأدرك الحلقة المفقودة في الصراع الفرنسي الجزائري وضرورة العودة بالزوايا إلى دورها والطريقة الرحمانية إلى أصولها، وكانت نتائج كل ذلك تفاعله مع الأحداث التي عرفها الشعب الجزائري وذاق مراراتها.

4- زيارات الوطنيين إلى الزاوية :

عرفت الزاوية بقلعة للعلم والعمل الاجتماعي منذ تأسيسها، وأمام مكانة شيخها سي مصطفى والزخم العام الذي عرفته الجزائر ابتداء من 1930 فقد أصبحت الزاوية القاسمية قبلة للعلماء ولرجالات الحركة الوطنية أمثال توفيق المدني[5] وغيره من السياسيين.ولئن كانت زيارة أولئك الرجال للتبرك أو لكسب الأنصار أو لفتح المكاتب أو سعيا وراء الدعم في الانتخابات، إلا أن تلك الزيارات وما رافقها من خطب أو دروس أو جلسات وتجمعات قد تركت أثرا وزرعت وعيا وأحدثت تفاعلا في صفوف أبناء الزاوية وأتباعها .

5- زيارة العلماء للزاوية في عهد والده :

نظرا لدور الزاوية القاسمية وإشعاعها الحضاري والفكري آنذاك فقد كانت قبلة للعلماء، حيث زارها علماء أمثال مُحَمَّد الحجوي صاحب الفكر السامي، والذي تولى وزارة المعارف المغربية، والشيخ عبد الحي الكتابي الذي زارها مرارا. والشيخ أحمد البلغيثي الفاسي صاحب التأليف وغيرهم مثل الشيخ البشير

(1)- عمر الحملاوي: أخذ العلم بزاوية اجداده وهاجر إلى الزيتونة ومكث بها 5 سنوات، تولى أمر الزاوية الحملاوية 1942 ولقته فرنسا أثناء الثورة. أنظر: A.O.M. F de les confrères 1956 P 26

(2)- أنظر: محمود بوكسيه: الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي في الجزائر ص 300.

(3) - أحمد توفيق المدني: 1899-1983، جزائري الأصل، ولد بتونس، عرف بنضاله الوطني ونشاطه السياسي، كان من مؤسسي الحزب الخير الدستوري ثم ح ع م ج ،كان الناطق الرسمي لج ت و، وعضوا في الحكومة المؤقتة ينظر: خير الدين شترة: نشاط الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ص 9

(4)- البشير الإبراهيمي :و خلف ابن باديس في رئاسة ح ع م ج وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة و " دمشق" و "بغداد"، ولد بأولاد إبراهيم لدائرة سطيف، شريف النسب، تعلم على يد والده ثم بزاوية شلاطة، هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1911 أين تم دراسة العالية ثم انتقل إلى دمشق سنة 1917 وعين أستاذا بالمدرسة السلاطنية عاد إلى الجزائر 1921 وانقطع لخدمة أمته ساهم في خدمة الثورة التحريرية بإخلاص وتوفي سنة 1965. ينظر: عادل نويهض: معجم إعلام الجزائر، مؤسسه نويهض الثقافية (بيروت 1983 ص 13-14).

(5)- عبد القادر عثماني: (شيخ زاوية طولقة، لقاء خاص بالزاوية يوم 20-01-2008.

الإبراهيمي[1] الذي زار الزاوية عن مرض شيخها[2] ، وكان لهؤلاء جميعا دروسا تنتهي غالبا بمناقشات ساهمت كلها في تكوين شخصية الشيخ خليل آنذاك[3].

عوامل سياسية: لقد عاصر الشيخ خليل ذلك الزخم السياسي الذي عاشته الجزائر منذ نشأته، وعاش مآسي الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حوادث الثامن ماي، هذا مع العلم أن زاوية الهامل كانت أثناء الحرب العالمية الثانية ملتقى الطلبة من كل الاتجاهات السياسية، حيث كان يلتقي الإصلاحيون بالاستقلاليين والبيانيين، وكان النقاش بدور دائما بين صفوف الطلبة بعيدا عن أعين الاستعمار ومخبريه، فأدى كل ذلك إلى الوعي واقتناع أبناء الزاوية بضرورة الانتقال من المرابطية الضعيفة إلى الوطنية الواسعة[4].كما أنه ومن خلال الحرب العالمية الثانية عرف الظلم والتخريب اللذان رافقاها، وعاصر أحداث 8 ماي 1945، فأيقظ كل ذلك إحساسه الوطني كبقية أبناء الزوايا وجعله يبكي المأساة ويتفاعل معها[5]، كما عايش التطور السياسي في صفوف الحركة الوطنية، وما صاحبه من تحرك كبير لرحالات الحركة الوطنية وتأسيس لخلايا حزب الشعب وشعب جمعية العلماء، ونشاط الحركة الكشفية، ونتج عن كل ذلك وعي سياسي كان له تأثير على شخصية الشيخ[6].

6- علاقة قادة الثورة التحريرية بالزاوية:

عمل قادة الثورة ومفجروها على التقرب من الزاوية وكثفوا زياراتهم وراسلوا مشائخها، ولم يكن أسباب تقربهم أو زياراتهم لمشايخها تربطهم بالزوايا من وشائج كأتباع أو تلاميذ سابقين وإنما لتمتين روابط الثورة بالشعب وتوسيع رقعتها، وإيمانا بالجانب الروحي في الدفع بالثورة إلى النجاح، مع إيمان قادة الثورة بمنطقة الصحراء بمبادئ الطريقة الرحمانية[7] ووزن زاوية الهامل ونفوذ شيخها، ولئن كانت زياراتهم قبل الثورة بدافع توعوي، فإن زيارتهم بعد اندلاعها أصبحت تهدف إلى دعم الثورة أو توسيع نطاقها، خاصة وأنه وبانضمام المشائخ والمقاديم ينظم الأتباع والشعب عامة[8]، وقد زار زاوية الهامل عيسى بن علية[1] القادم من

(1)- للتوسع ينظر: عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق ص 207.

(2)-محمود بوكسيبه: التطور الثقافي والسياسي بزاوية الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة 1870- 1956 ط1 دار الإرشاد، 2015 ص 264.

(3)- نفسه.

(4) - M. HARbi: op.cit. P42.

(5)- محمود بوكسيبه: الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي ص 310.

(6)- وفاء بن علية: المرجع السابق ص 170.

(7)- ابن عليه عيسى: ولد سنة 1901 بالهامل والتحق بصفوف الثورة وكان يعمل لايصال البريد بين الولايات والمناطق، استشهد عام 1956.

(8)- عاشور زيان: ولد سنة 1919 بقرية البيض ولاية بسكرة، حفظ كتاب الله والتحق بزاوية أولاد جلال، في سنة 1954 بدأ نشاطه السياسي قاد عدة معارك واستشهد 7 نوفمبر 1956، أنظر: مجلة أول نوفمبر: من شهداء الثورة ع 54 ص 64.

الأوراس مع أفواحة، حيث تولى مهمة الاتصال بين العرش والزاوية، وقام بدور كبير في تنشيط عملية الاستعداد والتهيئة للثورة إلى جانب زيارة سي عاشور زيان[2].

وقد كان زيان كثير التردد على الهامل، يتصل بشيخها ويلتقي بكبار العرش، وذلك قبل سجنه وبعد خروجه منه في عام 1955، فقد قام خلال أكتوبر 1955 بعقد اجتماع في بوسعادة، تم خلاله تكوين لجنة في المدينة تتولى مهمة نشر الثورة وسط الأعراس[3]، ونتيجة لهذا العمل من قبل الشهيدين المذكورين برزت جماعة من كبار العرش تعمل تحت الرعاية الشخصية لشيخ الزاوية وأخيه سي حسن وابنه سي الخليل، وضمت شهداء آخرين، وتكون فوج من المسبلين وتولي الشهيد بن علية عيسى مهمة الاتصال وقيادة الأفواج[4].وما أن انتهت سنة 1955 حتى كانت أفواج عاشور زيان تجوب المنطقة الجنوبية للمنطقة وتقود المعارك[5]، كما أسفرت هذه الاتصالات عن ترسيخ التنظيم الشعبي، فأسست المراكز للتموين والإيواء والاستقبال والبريد لدار الحاج خليل بالمقطع، وارتفع عدد المجندين، واستمرت قرية الهامل توفر المال والاستقرار لدوريات المجاهدين[6]، وتحولت الزاوية إلى مقصد للمجاهدين للراحة والتموين ومركزا للقادة [7]

(1)- ينظر: الحاج مزاري: المرجع السابق ص 65.

(2)- نفسه ص 66.

(3)- وفاء بن علية: المرجع السابق ص 151.

(4)- وفاء بن علية: المرجع السابق ص 151.

(5)- الحاج مزاري: المرجع السابق ص 65 -69.

(6)- سي الحواس: المدعو أحمد بن عبد الرزاق: ولد بمشونس قرب بسكرة سنة 1924، انخرط في حزب الشعب وأسس فرعا للمنظمة الخاصة، مع اندلاع الثورة انظم إلى مصطفى بن بولعيد وأصبح مسؤولا عن منطقة الصحراء للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي قاموس إعلام وشهداء وأبطال الثورة الجزائرية، منشورات بلوتو، الجزائر 2009 ص 105 – 106.

(7)- عمر إدريس: ولد سنة 1931 بالقنطرة، له ثقافة مزدوجة، انظم إلى الثورة 1955 قاد معركة جبل ثامر وأصيب وحكم عليه بالإعدام سنة 1959 أنظر: دروازالولاية التاريخية السادسة، دار هرهه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2002 ص 120.

لمتابعة سير الثورة أو التخطيط للمعاركالمتباعدة للعقيد الحواس[1]وعمر إدريس[2] وسعيد عبادو[3] ومحمد الطاهر خليفة[4] ، والعقيد محمد شعباني[5]وعمر صخري[6] وغيرهم.

III. التفاعل مع الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1954 – 1962:

نحاول إبراز دور الشيخ خليل القاسمي الوطني من خلال إسهامه في الحركة الوطنية أولا ثم في الثورة التحريرية ثانيا

1- تفاعل الشيخ خليل القاسمي مع الحركة الوطنية:

بفعل العوامل المشار اليها سابقا نضجت شخصية الرجل نضجا هادئا، وبدأ تفاعلها مع الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وذلك رغم عدم توليته لمشيخة الزاوية إلا سنة 1987، وظل عطاءه يتزايد أثناء الحركة الوطنية وأثناء الثورة وبعد الاستقلال داخليا وخارجيا، واكتمل عطاءه بتوليته للزاوية، لكننا نركز في هذا البحث على تفاعله مع الحركة الوطنية والثورة التحريرية.لم تكن زاوية الهامل بعيدة عن التطور السياسي الذي عرفته الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية أو أثناءها، وقد شعرت فرنسا بذلك، ورغم ولاء الشيخ مصطفى القاسمي الظاهري، فالتغيرات بدأت تسري داخل الزاوية خاصة عندما علمت فرنسا بزيارة مصالي الحاج[7] إلى بوسعادة، ولهذا فما أن تجلت الحرب العالمية الثانية حتى كثفت فرنسا من مراقبتها للزاوية القاسمية، وفرضت على شيخها إعارة قسم من أقسام زاويته ليكون تابعا للمدرسة الفرنسية، وعينت له

(1)- السعيد عبادو: ولد سنة 1936 ببرج ابن عزوز، درس بمعهد ابن باديس بقسنطينة انخرط في الثورة سنة 1956 وكان من قادتها بالمنطقة، اعتقل في أزمة شعباني وتولى مناصب سياسية هامة بعد الاستقلال للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي: قاموس شهداء وأعلام الثورة، المرجع السابق.

(2)- محمد الطاهر خليفة: من ولاية بسكرة، كان ملازم أول في المنطقة الثالثة سنة 1960 حتى الاستقلال، تولى بعد الاستقلال منصب رئيس دائرة. عبد القادر عثماني: شيخ زاوية طولقة الرحمانية – لقاء خاص بزاويته يوم 2008/01/20.

(3)- قائد الولاية السادسة، ولد في أوماش سنة 1932، التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس، التحق بصفوف الثورة وفي سنة 1959 تولى قيادة الولاية السادسة للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 338 – 339.

(4)- عمر صخري: بطل من أبطال الثورة، ومجاهد وقيادي بالولاية السادسة، ولد بأمدوكال سنة 1935، درس بكتاتيب المنطقة ومدارسها، وانظم إلى الكشافة، وقد بدأ نشاطه السياسي مع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ببلكور سنة 1949، التحق بالثورة سنة 1955م وتقلد مسؤوليات قيادية أثناء الثورة أو بعدها، ينظر: عبد الهام نقلاتي: المرجع السابق.

(5)- مصالي الحاج: عمل بنشاط كبير في نجم شمال إفريقيا منذ سنة 1926 وكان من الرافضين للمشروع الادماج حيث أسس حزب الشعب الجزائري سنة 1937 للمزيد راجع يوسف مناصرية: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين (1919 – 1939) م.و.ك –الجزائر 1988

(6)- الحاج مزاري: الهامل مركز اشعاع.

(7)- ليست صحيفة الروح المؤسسة بالبليدة بين 1937 – 1939. ""أنظر إعدادها الخاصة بشهر جوان،جويلية، أوت 1948 بزاوية الهامل.

معلما[1] ظاهر مهامه التدريس وباطنها التجسس.لقد عاش الشيخ خليل كل ذلك الزخم الذي عرفته الجزائر والزاوية، وكان تفاعله سريعا حيث عمل مع بعض أترابه في الزاوية على إنشاء جمعية المحافظة، والتي كان دورها إصدار صحيفة الروح[2] ، وهي صحيفة دالة على النضج السياسي والفكر الثوري، وتنم عن حماس ووطنية وعن قلوب مفعمة بحب الوطن[3] وتهفو إلى الجهاد والشهادة، وقد قال عنها الشيخ خليل:" الروح خطوتنا الأولى في ميدان النضال وكل من دخل للكفاح المسلح مدفوعا بمثل هذه الروح لتحقيق تلك الأهداف إلا لاقى أمنيته في الاستشهاد أو غايته في الاستقلال[4]".

2- تفاعل الشيخ خليل مع الثورة التحريرية:

في الوقت الذي تواصلت سياسة الاضطهاد الفرنسية [5] تزايد نشاط زاوية الهامل في عهد الشيخ مصطفى القاسيمي، حيث أصبحت تظم 29 زاوية، و 43000 مقدم [6]، موزعين في الحضنة وزواوة والأوراس وأولاد نايل والغرب الجزائري، وكلها تنتسب إلى الطريقة الرحمانية، والتي تظم 230 ألف من الأتباع[7] ، ورغم تفكك هذه الطريقة فإن فرنسا كانت تدرك ماضيها الجهادي بكل مرارة وألم [8]، ولهذا وجهت لها اهتمامها لتعتمد عليها عند الضرورة، وترتكز على شيخها إذا جد الجد، ولكن هل نصدق تكهناتها في ولاء الشيخ مصطفى القاسمي؟ إن هذا السؤال يدفعنا حتميا إلى تشريح موقف الزاوية من الثورة، وعليه فالمواقف الظاهرية لشيخ الزاوية ليست بالضرورة هي المواقف الحقيقية.

ففي السنوات الأولى للثورة بين 1954 – 1956 لم يكن هناك ملجأ للشعب أو للقادة أو المجاهدين إلا الزاوية القاسمية، وذلك رغم التقارير الفرنسية التي كانت تتابع تحركات شيخها[9]، وأمام تردد بعض قادة الثورة على الزاوية قامت السلطات الاستعمارية بتكثيف المراقبة على زاوية الهامل وعلى أنشطتها، حيث كانت تتابع أثر الشيخ مصطفى وأبنائه وأتباعهم، وأقامت ثكنتين عسكريتين، الأولى عند

(1)- صحيفة الروح: أ ع جوان، جويلية، أوت 1948 خزانة الشيخ خليل – بمكتبة الخاصة في المقطع.

(2)- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق ص 47 -49.

(3) -A.O.M : F DC les confréries en Algérie moussem du KITTANI à Fes 93-4491.

(4) - A.O.M : F.D.C les confréries 1956, p10.

(5) - Ibid.

(6) - Ibid.

(7)- تقارير غير مرقمة بزاوية الهامل.

(8)- محمود بوكسيبة: الطريقة الرحمانية والاستعمار الفرنسي 1830- 1962 ص 319.

(9)- وفاء بن علية: المرجع السابق ص 161.

مدخل قرية الهامل والثانية عند مدخل الزاوية، كما كثفت مراقبتها على تحركات الشيخ مصطفى[1] ، ورغم أن هذا الأخير كان يحيط تحركاته بحذر شديد إلا أن التقارير[2] كانت تلاحقه أينما حل[3]

لقد كان الاتصال الأول لقيادة الثورة بشيخ الزاوية ثم بالأسرة القاسمية في 9 سبتمبر 1955، وذلك قصد كسب تأييد الزاوية للثورة.[4] ، وفي شهر نوفمبر تولى شباب الأسرة القاسمية الأمر[5] ، ومن ضمنهم الشيخ مصطفى، وكانت البداية بإنشاء الخلايا السرية في كل المناطق التي يحل بها القاسميون، ثم تلتها عملية جمع التبرعات والإعانات بمنطقة الهامل وحاسي بحبح [6]، ورافق الشيخ خليل أحمد القاسمي في اتصالاته بمناطق سليم، مجدل، الجلفة، أولاد عمر بن فرج، وكسب العديد من المشتركين، ثم قام بعد ذلك بتأسيس أول خلية ثورية [7] ، وقد ضمت عمه الحسن[8] وأشرف عليها سي عاشور زيان، وما لبث أن توسع نشاطها من تنظيم الخلايا إلى شراء الأسلحة والذخيرة وتوفير المؤونة للجيش.[9]

لقد تعددت اتصالات الشيخ خليل وتنوعت مهامه، وفي مرحلة تالية أصبح مسؤول مكتب رقم 105، ومكلف بهيئة الدعاية، وكذا تزويد الجيش بالمؤونة واللباس والسلاح، وعهد إليه بالاتصال بوحدات المجاهدين للولايات[10] ، ونتيجة لهذا النشاط كانت مراسلات قادة الثورة معه كثيرة، كما أن الادارة الفرنسية لم تكن غافلة عن تحركات الرجل حتى ضاقت به درعا [11]، وفي 27 جوان 1956 ألقي القبض خارج مدينة الجلفة، وهو عائد من لقاء جمعه بالقائد سي عاشور زيان، وحكم عليه بالسجن لمدة عامين وغرامة قدرها 100 ألف فرنك فرنسي، ثم حولته السلطات الاستعمارية إلى سجن بربروس المسمى آنذاك "سركاجي"، ثم خفف الحكم إلى سنة، ثم إلى ستة أشهر وباقي المدة موقوف التنفيذ مع الإقامة الجبرية،[12] وبعد إطلاق سراحه عادت السلطات الفرنسية لاعتقاله من جديد يوم 12 سبتمبر 1957، حيث حاكمته،

(1)- التقارير غير مرقمة بزاوية الهامل: وهي موجودة في ملاحق المرجعين السابقين.
(2)- وفاء بن عليه: المرجع السابق ص123.
(3)- تولي سي عاشور زيان رئاسة الاجتماع.
(4)- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق، ص66-67.
(5)- نفسه.
(6)- عمه الحسن: تولى مشيخة الزاوية خلفا للشيخ مصطفى القاسمي سنة 1970.
(7)- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق ص 67.
(8)- وفاء ابن علية: المرجع السابق ص 180
(9)- الحاج الخليل القاسمي: المصدر السابق
(10)- الشيخ خليل القاسمي: المصدر السابق ص70
(11)- نفسه ص71
(12)-نفسه ص 72

وصدر في حقه النفي إلى قرية دالي إبراهيم بضواحي الجزائر العاصمة، أين قضى بها ستة أشهر مترددا يوميا على مراكز الأمن للتوقيع[1]. وبعد أن لاحظت السلطات الاستعمارية اتصالاته المشبوهة بقيادة الثورة وضعته تحت الإقامة الجبرية في منفى باول غزال يوم 22 جوان 1958، والذي بقي فيه الى غاية استقلال الجزائر.[2] وعلى الرغم من نشاطه السري فإن مراسلاته مع قيادة الثورة ظلت محفوظة[3]، ومع توقيف القتال القتال في 19 مارس 1962 أطلق سراحه ليتوجه إلى نواحي أمدوكال بضواحي بسكرة أين أقامت الولاية السادسة حفلا بمناسبة توقيف القتال، والتقى الشيخ خليل بقادة الولاية السادسة مثل العقيد محمد شعباني والرائد عمر صخري، وقد اقترح عليهم إقامة معهد للعلوم الإسلامية بالهامل يتبناه جيش التحرير الوطني، وقوبل الاقتراح بالقبول[4].

خاتمـــة:

من خلال ما سبق ذكره نخلص للتأكيد على دور زاوية الهامل في الحياة السياسية والثقافية للوطن، وخاصة في عهد شيخها سي مصطفى وابنه الشيخ الخليل.

وقد اجتمعت عدة عوامل سياسية وثقافية في بروز نجم وريث الزاوية الشيخ الخليل القاسمي، كان من أبرزها علمه الواسع، ونضجه السياسي، وروحه الوطنية، وكل هذه العوامل جعلت منه عالما، ورجل سياسة، ومجاهد، وقد ترك بصماته من خلال مواقفه الثورية في دعم الثورة التحريرية، وعلمه الزاخر، فكان مثالا لأبناء الزوايا في القرن العشرين الذين أعادوا للزاوية دورها الذي أسست من أجله .

(1)- رسائل تحمل ختم الولاية السادسة (غ.م)

(2)- الحاج خليل القاسمي: المصدر السابق

3 معلومات قدمتها اخت الشهيد المجاهدة فاطمة الزهراء، انظر موقع سيدي عيسى على الانترنت http://www.sidi-aissa.com/ar

4- نور عبدالقادر: شاهد على الحركة الطلابية اثناء الثورة التحريرية، دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص 20.